النحاتة منى السعودي.. الحجر إذ ينشد بالشعر والقصائد

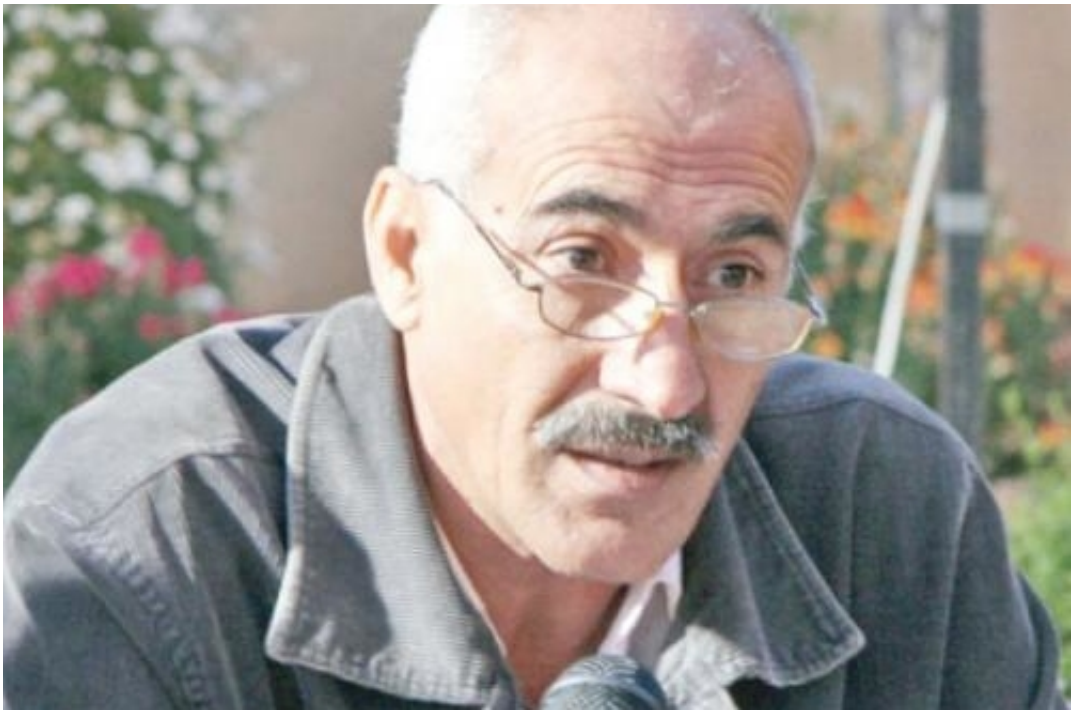

النحاتة منى السعودي..

الحجر إذ ينشد بالشعر والقصائد

بقلم/ حسين نشوان/ الأردن

الفنانة الأردنية منى السعودي، واحدة من رائدات فن النحت العربي، تعول كثيراً على متخيل الشعر والقصيدة لبناء منحوتاتها الرخامية والجرانيتية والحجرية البيضاء النقية، والصفراء الصحراوية، والخضراء والرمادية والزرقاء السماوية.

ولفرط إعجابها بتراث الحضارات الشرقية القديمة وفلسفتها الجمالية وأساطيرها التي تمجد الأنثى، أعادت الفنانة سرد الحكاية على سطح الحجارة وفق مثلث يزاوج بين مفردات: المرأة، اللغة والطبيعة، لما تراه من أن النحت "طريقة الحياة"، و"تجسيد للشعر".

الفنانة المولودة في عمان عام 1945، وحاصلة على إجازة الفنون من كلية الفنون الجميلة بجامعة السوربون بباريس، فرنسا، تشكل أعمالها بالحروفية والرموز التراثية والإشارات، لقناعة منها أن مفاهيم الفن الحديث تقصر الفجوة بين الوظيفة والدلالية للمواد الصلبة والخطوط المرنة التي تحّول القطعة الصامتة إلى نص يفيض بالكلام والجمال.

وعلى محدودية ما يمكن أن ينضاف أو يحذف من الصخر، تحاول الفنانة التي صدر لها كتاب "أربعون عاماً في النحت" ودوّن سيرتها الحياتية والفنية، الاشتغال على تضادات المادة والمعنى بإضفاء مفرداتها التي تمنح المادة ولادة جديدة تفارق أصلها القاسي لمصلحة خفوت اللغة ورقتها .

يبدأ البناء عند النحاتة التي عرضت أعمالها في عمَّان، بيروت، فرنسا وأميركا، وغالبية الدول العربية وأوروبا وأسيا، من

بؤرة تشبه رحم المادة وكينونتها، ومن نقطة مركزية لولادة الشكل باقتراحات تعيد تكوين الطبيعة وهندستها ومقاييسها ونسبها بخطوط صافية، مجردة، مختزلة، ليست منسوخة عن الطبيعة، ولكنها تشير إلى وحدتها.

الفنانة السعودي التي نشرت نصوصها في مجلة "شعر" البيروتية، وصدر لها: "رؤيا أولى" 1970 ، "محيط الحلم" 1993، وكتاب "شهادة الأطفال في زمن الحرب" 1968، قدمت تخطيطات لأشعار السوري أدونيس والفلسطيني محمود درويش والفرنسي سان جون بيرسفي الذي رسمت له عدداً من "الاسكتشات" بالحبر بعنوان: "اعتدال" وعرضتها في فرنسا.

تركز الفنانة في اشتغالاتها النحتية ونصوصها الشعرية على الكائن، وعلاقته مع الفراغ والوجود ومجاوراته، وطاقة المتشابهات والإيحاءات التي يتركها في وعي المتلقي، وتختزل رؤيتها في أن العمل الإبداعي هو "تكوين هندسي لما هو روحاني"، وتعبر عن ذلك في أحد نصوصها الشعرية:

"أنت المأخوذ بالضوء

وحولك كل هذا الظلام

تقدّم، الزمن والمكان وعاء أحلامك

لك ثبوت الحجر، وموسيقى الريح

وجريان الماء".

ومثل ذلك بحثت السعودي في النحت: عن الشكل النقي الخالص، فهي لا تحب الضجيج في الفن، ولا المباشرة، أو ما يشوه الإنسان.. وتقول: "ما يعنيني هو المسافة بين لحظة البدء في تكوين المنحوتة، مروراً بعناصرها، خطوطها، استدارتها، توازنها، علاقة الحجوم والخطوط، الفراغ والامتلاء، حيويتها.. وصولاً إلى أن تأخذ المنحوتة شكلها النهائي، وتتحدث لغة صارت فيها".

سيطر حرف النون لشكله الأنثوي في انحناءاته الأمومية وتوالداته الخصبة التي تشبه الطبيعة على أعمال الفنانة، وبالكاد يخلو عمل من أعمالها بصورة مباشرة أو غير مباشرة من تكوينات الحرف الذي يمثل أس الخط العربي ويختزل جمالياته الهندسية.

اشتغلت صراحة أكثر من منحوتة حملت عناوين حرف النون، وهي عناوين لا تخلو من شعرية واختزال يكتفي بـ"مفرد بصيغة الجمع" وهي تخطيطات لقصائد الشاعر أدونيس.

اختارت الفنانة السعودي لمنحوتاتها عناوين: " نمو 1881"، "نشيد 1983"، "عشاق 1983"،" استمرارية 1968"، "تكوين 1982"، " شجرة النون 1983" و"تنويعات على حرف النون" بقياس 225 سم من الرخام، التي اشتغلتها في بيروت العام 1981 ، بوحي من الفنان الفلسطيني كمال بلاطة عن كلمة إنسان، حسب ما تقول الفنانة، واختارت النون لما يتشكل من خط دائري مفتوح في مركزه النقطة.

تتكون منحوتة "تنويعات على حرف النون" التي استقرت العام 2003 في حديقة السفارة الفرنسية بعمان من ثلاث قطع في بناء عمودي تشكل الماضي والحاضر والمستقبل، وتشبه الشجرة المثمرة التي تتدلى منها عناقيد الحرف.

وفي المنحوتة تختزل العلاقة الأسطورية بين اللغة والأنثى والأرض والمرأة، بتداعيات المعنى بين اللغة والأنثى بـ"نون النسوة"، ومقاربتها الصورية من العين كمضارعة للرؤية والمعرفة، ودلالتها القداسية في النص "نون وما يسطرون" لتجمع في الشكل التجريدي رؤيتها الثقافية والجمالية بالجمع بين تضادات الصلب "الحجر، الطبيعة"، والمرن، الإنسان"، لإسقاط الواقعية والمشابهة بإبراز المعنى.

وجاء اختيارها للتجريد للتخفف من فائض الشكل الخام "للانتقال من الشكل إلى التشكيل"، بحسب الفنان نزيه خاطر، تاركة على جسد الحجر جروحاً تشبه ما يلامس الريح على ثقوب الناي ليتحول إلى نشيج جميل يتجلى في الخطوط والفراغات التي تحفرها على الكتل لتضيف تونات جديدة تثري المساحات المتروكة في الشكل.

تقصد الفنانة من خلال أسلوبها التجريدي الذي يقوم على الاختزال والتكثيف والتكرار التخلص من الزوائد التي تثقل الشكل الخام بشعرنة المنحوتة، ومقاربتها إلى مستوى المتخيل والحلم.

وتسعى الفنانة في أعمالها التي تتنوع في حجومها بين قبضة اليد أو استدارة القلب، وطول الإنسان إلى إثراء اللغة التشكيلية بإيقا ع اللون والخط، والسطوح الملساء المضيئة، والتحزيزات والتهشيرات التي تشبه مسام جلد الإنسان، وتذهب في نقلها لمركز ثقل الكتل وتكراره في اليمين واليسار والأعلى للحيلولة دون الإخلال بشعرية البناء النحتي وتناغمه، وإلى إضفاء البساطة بإحكام العلاقة بين الكتلة والفرا غ التي تتأتى من تجانس التشكيلات وتنوعها بين الأقواس والدوائر والأهلّة التي تشبه في تكويناتها حرف النون.

الجمال في منحوتات الفنانة منى السعودي لا يكمن في اختياراتها بين المادة الرخامية الملونة والموضوع الأنثوي الإنساني فحسب، بل في تلك المقاربة بين الواقع والمتخيل، والصلابة والمرونة والقوة والرقة والقسوة والملاسة، والعتمة والضوء التي تعيد "الجمع بلغة المفرد، أو المفرد بلغة الجمع"، وتترك في أعماق المتلقي كثيراً من الأسئلة الغائبة والمدهشة، وقت ينشد الحجر بالشعر والقصائد.